

" المدارس الحديثة في نيسابور وإسهامات أبرز روادها في خدمة السنة "

Dr. Sha'aban 'Abdel Hamīd Refāe Mohamed, Dr. Rabīelbrahīm Mohamed Hassan Dr. Mohamed Hāmed Mohamed Said, Dr. Omar Fawaz Sedek Soliman and Dr. Abdul Ghani Bin Md Din

Faculty of Usuludin and Sains al-Quran, Universiti Islam Antarabangsa Sultan Abdul Halim Mu'azdam Shah, Kuala Ketil 9300, Kedah Darul Aman

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على الحركة العلمية التي شهدتها واحدة من أشهر مدن العالم الإسلامي الواقعة في بلاد خراسان، وإحدى الحواضر الإسلامية العريقة في التاريخ والحضارة، والعلم والدراسة، والثقافة والفكر، وتجلّى إشكالية هذا البحث في أن نيسابور كانت مدينة تُموج بالعلم، وتغص بالعلماء، وأن ثمة حركة علمية رائجة قامت بها المدارس الحديثة في هذه المدينة لا يعرفها طلبة العلم فضلاً عن عامة المسلمين، فجاء هذا البحث لرفع اللثام عن هذه الحركة العلمية الحديثة. وتبرز أهمية هذا البحث في: أنه يستعرض جهود المدارس الحديثة في إثراء الحركة العلمية التي شهدتها مدينة نيسابور، مع الإلماح إلى مراكز التعليم فيها، وذكر نماذج من أبرز روادها الذين برعوا في العلوم الحديثة، مع رصد إسهاماتهم، ونتائجهم العلمي. وقد سُلِكَ في هذا البحث المنهج الاستقرائي وذلك في تتبع كتب التراجم، والسير، والطبقات، وتواريخ البلدان للوقوف على أماكن التعليم في المدينة العريقة، وكذلك لمعرفة علماء الحديث المنسوبين إليها، والمنهج الوصفي التحليلي وذلك في وصف مراكز التعليم المتنوعة التي ضمتها مدينة نيسابور، وتحليل الدور الريادي الذي قامت به، وكذلك في وصف النتائج العلمي لعلمائها الخدّاق. ومن أهم نتائج هذا البحث: أبرز البحث الدور الحضاري والعلمي الذي قامت به مدينة نيسابور متمثلاً بعلمائها الأفاضل، وبين البحث أن نظام الدراسة في المدارس النظامية العلمية والحديثة في نيسابور دليل على معرفة المسلمين واهتمامهم بقضية المنهجية منذ وقت مبكر.

الكلمات المفتاحية: المدارس الحديثة - نيسابور - نشأة - نهضة - رواد.

مقدمة

لقد قبض الله للسنة أئمة نقادا، وحفاظا عارفين، وجهازة علمين، وصيارفة ناقدين، كابن سيرين، وأيوب السخيتاني، وشعبة، ويحيى القطان، وابن مهدي، وابن معين وابن المديني، وأحمد، والبخاري، وأبي داود، وأبي حاتم، وأبي زرعة، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ فأسسوا لها العلوم المتنوعة كعلوم الإسناد وعلوم الرجال، وجعلوها من الدين وبذلوا فيها من الجهود ما لم تقم أمة بمثل جزء منه. وقد حمل هؤلاء الأعلام راية السنة المظهرة وساروا بها في الأمصار المختلفة، ودار الحديث في تلك الأمصار عليهم.

وكان لكل بلد من تلك البلدان خصائص تمتاز بها عن غيرها، في طرق البحث والتصنيف، وكذلك في علم الحديث والبراعة فيه؛ فبرزت الاتجاهات العلمية الحديثة المختلفة في الأمصار الإسلامية، فأدى ذلك إلى ظهور ما يعرف " بالمدارس الحديثة " وهي الحركة العلمية التي نشأت في كل مصر من الأمصار وقطر من الأقطار. ولا شك أن هذه المدارس لم تكن جميعها على نهج واحد أو طريق واحدة؛ فقد كان لكل مدرسة خصائصها وسماتها، التي تميزها عن غيرها.

وقد انتشرت تلك المدارس في الحواضر الإسلامية انتشاراً كبيراً وكان لها أكبر الأثر في بناء عقلية المسلم وتكوين شخصيته، وكان من أبرز تلك المدارس "مدارس نيسابور".

وتعتبر معرفة المدارس الحديثية ومنهجها، وأثرها في علم الحديث غاية في الأهمية بالنسبة لكل دارس وباحث ناهيك عن كل عالم وناقد، فقد انتشرت صناعة الحديث في سائر الأمصار فبرع أهل كل مصر في علم من العلوم، ومنهم من برع في علوم شتى، فدراسة المدارس الحديثية لكل مصر من الأمصار يكشف لنا عن مدى تطور العلوم في هذه المدارس، ومدى عناية العلماء بها، وكذلك عن مدى تأثيرها في علوم الحديث.

لذلك فقد أشار الدكتور همام سعيد إلى أهمية دراسة المدارس الحديثية، وأنها من وسائل الكشف عن العلة فقال: "معرفة المدارس الحديثية: نشأتها، ورجالها، ومذاهبها العقدية والفقهية، وأثرها وتأثيرها، في غيرها وما تميزت به عن غيرها، فقد نشأت للحديث مدارس في المدينة، ومكة والكوفة والشام ومصر واليمن، وبهذه الطريقة يعالج الباحث أسانيد كثيرة فيكشف عن علتها" (ابن رجب، 1407هـ: 128/1).

تعريف المدرسة الحديثية: تعددت الأقوال في بيان المقصود

بالمدرسة الحديثية؛ ومن أبرز تلك التعريفات:

التعريف الأول: تعريف الدكتور محمد بن عزوز: الذي يرى أن مصطلح "المدرسة الحديثية" يطلق على عدة معانٍ هي:

أ - نشر الحديث النبوي، ورسم القواعد الأولى لروايته، وتم هذا في مدرسة المدينة المنورة في زمن كبار الصحابة.

ب - نشر الحديث، وتقنين قواعد نقله سنداً ومتمناً، انطلاقاً من الأسس التي رسمها الصحابة بالمدينة، مع تطويرها والتوسع فيها، استجابة لما اقتضتها الظروف البيئية، وكان هذا بمدرسة المدينة في القرن الثاني الهجري، وبمدرسة العراق بمراكزها الأربعة: الكوفة، البصرة، واسط، ثم بغداد.

ج - الصحابي المحدث الذي انتقل إلى مصر من الأمصار، ونشر حديثه وفق المنهج الذي رسم من قبل بالمدينة، فأشهره، وكثر تلاميذه، وكان مصدر الرواية فيها" (محمد عزوز 1434هـ: ص12). غير أنه يرى أن هذه التقسيمات روعي فيها الزمان والمكان، أما في واقع الأمر فالمدرسة الحديثية واحدة، والذي تعدد هو الزمان والمكان؛ لأن عناصر الرواية: الراوي، والمروي، وطرق التحمل واحدة في أصلها، متطورة في شكلها بالنسبة لطرق التحمل. كذلك فإن قوانين الرواية: من صفتها، وشروط الراوي، وجرحه، والإسناد وأنواعه، ونقد المتن متشابهة. (محمد عزوز 1434هـ: 12)

التعريف الثاني: أن المدرسة الحديثية هي عبارة عن اتفاق جماعة من العلماء على مذهب واحد في تبليغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وما يشهد لهذا المعنى ما ذكره الإمام علي بن المديني - رحمه الله - حيث قال: "لم يكن في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من له صحبة يذهبون مذهبه، ويفتون بفتواه، ويسلكون طريقته إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس" (ابن المديني، 1980م: ص42) فتبين من قوله أن هناك شيخ وتلاميذ، ولكل تلميذ منهم طريقته التي يمتاز بها عن غيره، وإن كانوا يتفقون جميعاً على مبدأ واحد؛ وهو التبليغ.

التعريف الثالث: أنها مكان، يحصل فيه التدريس كدور الحديث. ويؤيد هذا التعريف قول المقرئ: "ما حدث في الإسلام ولم يكن في عصر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا التابعين وإنما حدث بعد الأربعمائة، وأول من داراً للحديث نور الدين زنكي بدمشق وهي دار الحديث النورية" (المقرئ 1418هـ: 1418هـ: ص315).

وسوف يدور حديثنا عن المدارس الحديثية باعتبار أنها الأماكن التي خصصت لدراسة الحديث الشريف بناء على منهج علمي متفق عليه غايته نشر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسم القواعد لروايته والاشتغال به.

وتعتبر المدارس الحديثية في نيسابور من أهم المدارس الحديثية التي كان لها أثر بارز في إثراء الحركة العلمية في العالم الإسلامي، حيث كان الهدف من إنشائها؛ إعداد مسلم قادر على أداء التكليف الشرعية بصورة قومية، وتوفير جو علمي يساعد على التفكير والابتكار، وتخريج جيل من العلماء السنة يكون قادراً على صد المد الشيعة الذي تعرضت له تلك البلاد، بالإضافة إلى إعداد كوادر قادرة على تحمل أمانة تبليغ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والذب عن حياضه.

المبحث الأول: موقع نيسابور ومكانتها العلمية

تعتبر مدينة نيسابور واحدة من أشهر مدن العالم الإسلامي الواقعة في بلاد خراسان، شمال شرق إيران قرب العاصمة الإقليمية مشهد وتبعد عنها بنحو تسعين كيلو متراً، وهي إحدى الحواضر الإسلامية العريقة في التاريخ والحضارة، والعلم والدراسة، والثقافة والفكر، وذلك على مدار ستة قرون كاملة، إذ كانت نيسابور عاصمة لمقاطعة خراسان قديماً، وأكبر مدنها، وتمثل الربع الغربي منها، وتعد من أشهر مراكز الثقافة والتجارة وال عمران في العصر العباسي، قبل أن يدمرها الزلزال الذي

ضربها عام 540هـ / 1145م، ثم أكتمل خرابها على يد قبائل الغز ثم المغول سنة 618هـ / 1221م، وتقع الآن بين دولتي إيران وأفغانستان (كي ليسترنج 1405هـ).

حدود نيسابور: لقد عرفت نيسابور باتساع رقعتها، وكثرة مدنها، وفي ترسيم حدودها يقول الحموي: "إن طول نيسابور ثمانون درجة ونصف وربع، وعرضها سبع وثلاثون درجة، وعدها في الإقليم الرابع (ابن حوقل، 1938م: 433/2).

ومن ثم فقد ذكر ما بينها وبين المدن المجاورة لها والتي تحدها من مسافة فقال: "ومن الرّي إلى نيسابور مائة وستون فرسخا، ومنها إلى سرخس أربعون فرسخا، ومن سرخس إلى مرو الشاهجان ثلاثون فرسخا (الحموي، 1414هـ: 332/5).

مكانة نيسابور العلمية: تميزت نيسابور بكثرة العلماء والأدباء والفضلاء حتى ضارعت أعظم حواضر الإسلام العلمية في ذلك الزمان.

قال ياقوت: "هي مدينة عظيمة، ذات فضائل جلييلة، معدن الفضلاء ومنبع العلماء، لم أر فيما طفت من البلاد مدينة كانت مثلها (الحموي، 1414هـ: 331/5).

وقال الفقيه المؤرخ تاج الدين السبكي: "كانت ديار العلم على اختلاف فنونه والملك والوزارة على عظمتها (السبكي، 1413هـ: 325/1).

وقد خربت نيسابور من العلماء كثرة، ونشأ بها على مرّ الأيام من الفقهاء من شهر اسمه وسمق قدره وعلا ذكره (ابن حوقل، 1938م: 434/2).

المبحث الثاني: نشأة المدارس الحديثية في نيسابور، وعوامل نهضتها.

المطلب الأول: نشأة المدارس الحديثية بنيسابور:

ظهرت المدارس الإسلامية منذ أواخر القرن الثالث الهجري، وكان الدافع الرئيسي لظهور تلك المدارس هو التوسع في أماكن التعليم، والتي كانت قاصرة على بيوت العلماء، وحلقات المساجد، وحوانيت الوراقين وغيرها من الأماكن التي لم تكن ذات مناهج محددة معرفة، والتي لم تعد تنفي بالغرض خاصة مع اتساع البلاد الإسلامية، وتقدم الزمان، بالإضافة إلى دوافع أخرى لا تقل أهمية عن ذلك أشرت إلى بعضها في المقدمة.

وقد تحدث المؤرخون عن نشأة المدارس العلمية عموماً، والحديثية منها على جهة الخصوص؛ فجاءت بلاد خراسان وما وراء النهر

في مقدمة البلاد التي عنيت بإنشاء المدارس؛ حيث تشير المصادر إلى أن أول من أنشأ المدارس في الإسلام هم السامانيون⁽¹⁾، الذين حكموا خراسان وما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين. (ناحي معروف، 1973م: ص 8).

وفي تلك الحقبة أنشأ العديد من المدارس في بخارى وغيرها من بلاد خراسان؛ إلا أن هذه المدارس لم تجد شهرة واسعة بخلاف المدارس التي أنشئت في خراسان في الحقبة ذاتها؛ حيث تشير المصادر إلى أن أول مدرسة أنشئت في العالم الإسلامي كانت في نيسابور، وكان اسمها المدرسة البيهقية وذلك في القرن الرابع الهجري. (الذهبي 1984م: 287/2).

واستمر بناء المدارس في نيسابور حتى بلغ ذروته في ظل حكم الدولة السلجوقية (429هـ - 590هـ)، التي عني حكامها ببناء المدارس ولاسيما الوزير نظام الملك السلجوقي (ت 485هـ) الذي يعود إليه الفضل في بناء أعظم المدارس وأشهرها في القرن الخامس.

قال ابن خلكان في ترجمته: "وبنى المدارس والربط والمساجد في البلاد، وهو أول من أنشأ المدارس فأقتدى به الناس. وشرع في عمارة مدرسته ببغداد سنة سبع وخمسين وأربعمائة، وفي سنة تسع وخمسين جمع الناس على طبقاتهم ليدرّس بها الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، رحمه الله تعالى، فلم يحضر، فذكر الدرس أبو نصر ابن الصباغ، صاحب "الشامل"، عشرين يوماً، ثم جلس الشيخ أبو إسحاق بعد ذلك... وسمع نظام الملك الحديث وأسمعه، وكان يقول: إني لأعلم أني لست أهلاً لذلك، ولكني أريد أربط نفسي في قطار النقلة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. (ابن خلكان، 1900م: 129/2).

ولم يترك نظام الملك مدينة إلا وبني بها مدرسة، فقد بنى مدرسة ببغداد ومدرسة ببلخ ومدرسة بنيسابور ومدرسة بمرارة ومدرسة بأصبهان ومدرسة بالبصرة ومدرسة بمرو ومدرسة بآمل طبرستان ومدرسة بالموصل. (السبكي، 1413هـ: 314/4).

مما جعل الحافظ الذهبي رحمه الله يصفه بأنه أول من بنى المدارس النظامية، وقد رده التاج السبكي بأن المدرسة البيهقية بنيسابور بنيت قبل أن يولد نظام الملك والمدرسة السعدية بنيسابور أيضاً بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان والياً بنيسابور ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو سعد إسماعيل بن علي بن المثنى الإسترابادي الواعظ الصوفي شيخ الخطيب ومدرسة رابعة

(1) شيعة رافضة؛ وتنسب هذه الأسرة إلى رجل فارسي اسمه سامان، كان مجوسي، ثم اعتنق الإسلام، وهو من أسرة عريقة الجد في فارس، وخلفه ابنه أسد وظهر أبناء أسد كرمعاء في عهد المأمون (أحمد العسيري، 1417هـ: ص 22).

بنيسابور أيضا بنيت للأستاذ أبي إسحاق الإسفرائيني وقد قال الحاكم في ترجمة الأستاذ لم يبن بنيسابور قبلها يعني مدرسة الأستاذ مثلها وهذا صريح في أنه بني قبلها غيرها (السيوطي، 1387هـ: 2/255). (السبكي، 1413هـ: 4/314).

ونتيجة لعناية حكام نيسابور بالعلم والعلماء؛ فقد كثرة المدارس كثرة واضحة؛ فقد أنشأها بها السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي (421هـ) وحده أربع مدارس، كما أنشأ بها وبغيرها السلطان مسعود الأول، الذي أعقب السلطان محمود (421 - 431هـ) عدداً من المدارس الإسلامية. وعلى الرغم من أن الدولة كانت تشرف على تلك المدارس، فإنها لم تكن ذات مناهج محددة كالمدراس النظامية. (ابن بطوطة، 1417هـ: 3/56).

وكثر عدد طلابها؛ فقد في مدارسها من الطلبة خلق كثير يقرؤون القرآن والفقه، وهي من حسان مدارس تلك البلاد، ومدارس خراسان والعراقيين وبغداد ومصر وإن بلغت الغاية من الإتقان والحسن فكلها تقصر عن مدرسة نيسابور" (ابن بطوطة، 1417هـ: 3/56).

أشهر المدارس الحديثة في نيسابور

1- مدرسة ابن حبان البستي

أنشأها الإمام العالم الفاضل المتقن المحقق الحافظ العلامة محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي أبو حاتم (354هـ).

وكانت في الأصل داره التي يسكنها، فحولها إلى مدرسة لأصحابه، ومسكن للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة منهم، وخصص مبالغ مالية للغرباء ينفقون منها، وألحق بها خزانة كتب عظيمة ضمت إلى جانب أمهات الكتب جميع مصنفاته، وأوقفها على طلاب العلم، جعل أمرها في يد وصي سلمها إليه ليبدلها لمن يريد نسخ شيء منها من غير أن يخرجها منها (ابن عساكر، 1415هـ: 52/254).

2- مدرسة ابن فورك:

وقد أنشأت لتكون مقراً للإمام المحدث؛ محمد بن الحسن بن فورك، أبو بكر الإصبهاني الفقيه المتكلم. (ت: 406هـ)؛ فقد ورد نيسابور بناء على طلب علمائها؛ فقد طلب علماء نيسابور من الأمير أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور (378هـ) أن يرأسه ففعل، ولما حضر بنى له المدرسة التي عرفت باسمه، وكان من المحدثين الأثبات؛ فقد سمع مسند الطيالسي من عبد الله بن جعفر الإصبهاني، وكان رجلاً صالحاً، وقد سمع أيضاً من ابن خرزاد الأهوازي. روى عنه أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وأبو بكر أحمد بن علي بن خلف، وآخرون، وله تصانيف جمّة. (الذهبي، 203م: 9/109).

3- مدرسة أبي سعد الزاهد: أنشأها عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم، أبو سعد النيسابوري الواعظ الزاهد المعروف بالخركوشي، [ت: 407هـ]، وقد بنى هذه المدرسة، وألحق بها داراً للمرضى، ووقف عليها الأوقاف، وبها خزانة كتب كبيرة موقوفة، وقد أسهمت هذه المدرسة في تخريج جيل من خيرة علماء ذلك العصر؛ حيث كان من أبرز علمائها: أبو عبد الله الحاكم، وأبو بكر البيهقي، وأبو حازم العبدوي أحد حفاظ نيسابور، وقد تولى التدريس في هذه المدرسة، حتى وفاته، وبعد وفاته خلفه أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم اليزدي الأصبهاني أبو بكر الحافظ، المعروف بابن فنحويه. أحد حفاظ زمانه، وفرسان أهل الحديث من أقرانه، فعقد فيها مجالس الإملاء فأملئ سنين، وقرئ عليه الكثير، وتخرج به جماعة من التلامذة (الصيرفي، 1414هـ: ص91).

4- مدرسة الصبغى: وتسمى أيضا " دار السنة"، وقد بناها أحمد بن محمد بن محمد بن عبّيد الله بن محمد أبو بكر البستي النيسابوري (ت 429هـ)، لأهل العلم على باب داره برأس سكة، ووقف عليها جملة من ماله. (الصيرفي، 1414هـ: ص93)

وقد تخرج من هذه المدرسة علماء أجلاء منهم؛ محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري الحافظ، أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع، [المتوفى: 405هـ]، فقد اختص بصحبة الإمام الصبغى، فكان في الخواص عنده والمروقين، وكان يراجع في السؤال عن الجرح والتعديل وعلل الحديث ويقدمه على أقرانه، وأدى اختصاصه به واعتماده إليه في أمور مدرسته دار السنة، وفوض إليه تولية أوقافه، واستضاء برأيه في أمور اعتمادا على حسن ديانته ووفور أمانته. (الذهبي، 1405: 9/89)

ومنهم: ابنه عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد بن عبد الرحمن بن نوح، أبو عبد الرحمن بن أبي بكر الصبغى، (ت305هـ)، فقد لازم مدرسة أبيه وكان من المحدثين الأدباء، ولما مات أبوه قعد للفتوى في المدرسة مدة يفتي، وكان يجتمع عنده أكابر علماء نيسابور أمثال أبي عبد الله الحاكم وغيره من جلة العلماء. (المنصوري، 1432هـ: 1/577)

ومنهم: أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، كان من جملة المختلفين إلى أبي بكر بن إسحاق الإمام الصبغى، ولما بنى دار السنة عقد له مجلساً للذكر (السمعاني، 1382هـ: 7/231).

5- المدرسة النظامية: أنشأ هذه المدرسة الوزير نظام الملك أبو علي الحسن بن علي الطوسي أحد أشهر وزراء السلاجقة

سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وكان وزيراً للسلطان ألب أرسلان وابنه ملكشاه (الذهبي، 1405هـ: 94/19).

وكان الهدف من إنشائها؛ مقاومة المد الشيعي في بلاد المشرق خصوصاً خراسان والعراق وغيرها من أقاليم تلك البلاد، وقد نظام الملك مهتماً بنشر المذهب السني والقضاء على الحركة الشيعية، واعتقد أن غزو بلادهم وانتزاع فارس من قبضة البويهيين لم يكن كافياً لذلك. ولذا فقد قرر نظام الملك البدء بإنشاء سلسلة من المدارس التي تعلم الدين حسب تعاليم مذهب أهل السنة، وبشكل أكثر خصوصاً مذهب الإمام الشافعي نظراً لكون نظام الملك نفسه كان شافعي المذهب (الأسنوي، 1401).

وعلى الرغم من الهدف السابق إلا أن نظام الملك أعطى للحديث وأهله في النظامية المكانة اللائقة بهم؛ فقد كان رحمه الله تعالى يحب العلم شغوفاً به وخاصة الحديث، وكان يقول: "إني لسئ أهدلاً لما أتولاه من الإملاء، ولكي أريد أن أربط نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم" فسمع من القشيري، وأبي مسلم بن مهران بن يزيد، وأبي حامد الأزهرى (السبكي، 1413هـ: 318/4).

وقد أنفق نظام الملك مبالغ هائلة في هذه المدرسة كغيرها من نظامياته التي أنشأها في عواصم الخواص الإسلامية، وحرص على أن تتوفر فيها كل سبل الراحة للطلاب، فخصص لهم سكناً يقيمون به، وفرض لكل واحد منهم أربعة أرتال من الخبز كل يوم لإعالتهم، وألحق بكل مدرسة مكتبة ضخمة تشبع اهتمامات الطلاب، وقد وصل عدد طلابها إلى ثلاثمائة طالب، وعندما يُنهي الطالب دراسته؛ يُمنح "الإجازة" التي تتيح له لاحقاً الالتحاق بوظائف مثل القضاء وإفتاء والتدريس وغيرها (الصلابي، 2006م: ص 127).

وقد لعبت المدرسة النظامية بنيسابور دوراً بارزاً في إثراء الحركة العلمية الحديثية، وخرجت مجموعة من خيرة علماء الحديث في زمانهم؛ وكان منهم على سبيل المثال لا الحصر:

الإمام المحدث؛ محمد بن أحمد أبو سهل المروزي (466هـ). قال عبد الغافر: "هو شيخ سليم النفس والجانب مستور قدم نيسابور ظهر له سماع الصحيح عن الكشميهني بمرو، وهو آخر من رواه عنه فيما أظنه فسمع منه المشايخ بمرو، وحمل إلى نيسابور، وقرأ عليه الصحيح في المدرسة النظامية" (ابن نقطة، 1408هـ: ص 53).

وإمام الحرمين عبد الملك بن الشيخ عبد الله بن يوسف الجويني، سمع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني، ودرس بعده في حلقاته، وتفقه على القاضي حسين، ودخل بغداد وتفقه

بها، وروى الحديث وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين، ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ (ابن كثير، 1408هـ: 157/12).

وأبو سعد بن الرئيس سلار المنصور، عبدالرحمن بن منصور بن رامش بن عبد الله بن زيد (ت 478هـ) شيخ جليل مشهور، صوفي ثقة في الحديث، كثير السماع والأصول، مستقيم الخط، كثير الكتابة، وعقد له مجلس الإملاء في المدرسة النظامية يوم الجمعة وقت العصر ثم ترك ذلك، ويقراً عليه بعد صلاة الجمعة من مسموعاته مثل: (غريب الحديث) لأبي عبيد، و (سنن أبي عبد الرحمن النسائي)، و (معاني الفراء) و (المذبح)، و (أنساب الزبير بن بكار)، و (المتفرقات)، وقت وفاته في سنة أربع وسبعين وأربع مائة" (الصيرفي، 1414هـ: ص 344).

وأبو القاسم الجرجاني الإسماعيلي، إسماعيل بن مسعدة، (ت 477هـ)، عقد له مجلس الإملاء بنيسابور في المدرسة النظامية، فأملى وروى على ثقة ودراية، وعقب مجلس الإملاء مجلس الوعظ على وقار وتؤدة وأناة، وحسن إيراد الكلام الواقع في القلوب البالغ في تطيب النفوس" (الصيرفي، 1414هـ: ص 146)، (ابن الجوزي 234/16).

وأبو محمد السمرقندي. الحسن بن أحمد بن محمد (ت 491هـ). رجل زاهد في معيشتة وقوي في ذاكرته. ألف كتاب بحر الأسانيد في 800 جزء بخطه، وجمع فيه الأحاديث على اختلاف وجوهها ورواتها (ابن العماد، 1406هـ: 396/5).

وغيرهم من أئمة الحديث وطلابه.

6- حانوت الصبغى: لم يكن مدرسة بالمعنى المتعارف عليه، ولم يتوفر له ما توفر لغيره من المدارس سالفه الذكر، وهو عبارة عن مكان اتخذه أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين الفقيه الصبغى النيسابوري (ت 344هـ)، مجمعا للحفاظ والمحدثين يقرأون الحديث ويتذاكرونه.

قال أبو عبد الله الحاكم: كان أبو بكر الصبغى من أعيان فقهاء الشافعيين، كثير السماع والحديث، كان حانوته مجمعا للحفاظ والمحدثين في مربعة الكرمانيين على باب خان حكي، وكنا نقرأ على أبي عبد الله بن يعقوب على باب حانوته. (الأنساب 1382هـ: 279/8).

7- مدرسة سرهنك: من مدارس نيسابور، ولم تذكر المصادر شيئاً عن بنائها، لكنها تشير إلى أنها كانت مدرسة عظيمة، تجري بها قناة عظيمة، وقد تخرج منها علي بن محمد بن علي؛ الإمام شمس الإسلام أبو الحسن إلكيا الهراسي الملقب عماد الدين أحد فحول العلماء ورعوس الأئمة فقها وأصولاً وجدلاً وحفظاً لمتون

أحاديث الأحكام. (السبكي، 1413هـ: 232/7). على أن هناك مدارس أخرى بعضها لم أفق عليه وبعضها يضيق المقام عن ذكره.

المطلب الثاني: عوامل نهضة المدارس الحديثة بنيسابور
لقد ازدهرت المدارس الحديثة في نيسابور بدرجة كبيرة حتى صارت تضاهي مدارس أعظم الحواضر الإسلامية في ذلك الوقت، وقد نتج عن الحركة العلمية في تلك المدارس تخريج جيل من الرواد العظام الذين أفادوا العالم الإسلامي بعلمهم، وأثروا المكتبة الحديثة بمؤلفاتهم.

والحقيقة كما قال ابن بطوطة، لأن نيسابور كانت لها الأقدمية في تأسيس المدارس الدينية والمراكز العلمية، ولرجال نيسابور وعلمائها منة على المسلمين لا سيما في حفظ الأحاديث النبوية على صاحبها ألف صلاة وسلام وما سواها من العلوم الدينية، لأنه ينتمي إلى نيسابور رجال من أهل الفقه والعلم ما لا يحصى ولا يُعدّ. (الموسوعة العربية العالمية 624/25)

وترجع أسباب نهضة المدارس الحديثة في نيسابور إلى عدة أسباب نجملها فيما يأتي:

(1) اهتمام الأمراء وعنايتهم بالعلم والعلماء:

بدأت العناية بالعلم والعلماء في نيسابور مع الفتح الإسلامي لها، فقد قام القائد المسلم عبد الله بن كرزب الذي تم على يده فتح نيسابور ببناء مسجد جامع بها يعتبر أول مؤسسة دينية وعلمية تقام على أرض نيسابور (الذهبي، ب ت: 47/1).

ومع مرور الزمان تنافس حكام هذه البلاد في ضم العلماء والحكماء والأدباء إلى قصورهم ومجالسهم، وأغدقوا عليهم العطايا تشجيعاً لهم على الإبداع معتبرين أن ذلك مجداً ثانياً لا يقل عن المجد السياسي، ومظهراً من مظهر السلطة القومية، فازدهرت الحياة العلمية في هذه البلاد ولم تعد بغداد وحدها مركز الإشعاع العلمي والثقافي، بل تجاوزت أصداء الحركة العلمية في كل من نيسابور، وطوس ومرو وهراة، وبلخ وغيرها (محمد ألفاجالو، 1421هـ: 111).

أما العلماء والأعيان فقد شاركوا الأمراء في تشجيع الحركة العلمية وكان ينسب إليهم العديد من المساجد التي تعج بالدارسين في هذه المدينة؛ أمثال: يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي النيسابوري (ت 267هـ)، إمام أهل الحديث في زمانه؛ فقد كان لمسجده الدور البارز في إثراء الحركة العلمية (ابن حجر، 1406هـ: 276/11).

وقد بلغت الحركة العلمية شأوها في عهد الدولة السلجوقية التي اهتمت بحكامها ببناء المدارس، وعنو بتوسيعها والعناية بها، وعلى

الرغم من الأحداث التي عصفت بخراسان عموماً وبنيسابور على جهة الخصوص منذ بداية القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن السادس؛ إلا أن نهضة بناء المدارس لم تتوقف، ولم تتأثر سلباً بتلك الأحوال، بل ظلت تترقى في مدارج الرقي والكمال. وقد وفر الأمراء السلاجقة السكنى لطلاب تلك المدارس، والمشتغلين بها، وأوقفوا عليها الأوقاف، وأجروا على أهلها الرواتب (الخليلي، 1409هـ: 841/1).

2- حلقات العلم: كان من أهم أسباب نهضة المدارس الحديثة في نيسابور حلقات العلم، والإملاء التي كانت تعقد في تلك المدارس، وكان من تلك الحلقات؛ حلقة أبي يعقوب إسماعيل بن قتيبة البشتقاني (ت 284هـ)؛ وكان من كبار أئمة أهل الحديث بنيسابور، وكان يدخلها عشية الخميس فيحدث عشية الخميس وغداً الجمعة ثم ينصرف إلى بشتقان عقب انصرافه من صلاة الجمعة (الحموي، 1414هـ: 505/1).

وظل إمام الحرمين تعقد له حلقات العلم في المدرسة النظامية لمدة ثلاثين سنة، وكان يقعد كل يوم بين يديه ثلاثمائة فقيه (الخطيب، 1417هـ: 44/16).

وأما أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم اليزدي الأصبهاني أبو بكر الحافظ، المعروف بابن فنجويه.

أحد حفاظ زمانه، وفرسان أهل الحديث من أقرانه؛ فقد عقد له مجلس الإملاء بعد موت أبي حازم العبدوي في مدرسة أبي سعد الزاهد في سكة حرقوش فأملئ سنين، وقرئ عليه الكثير، وتخرج به جماعة من التلامذة (الصيرفي، 1414هـ: ص 91).

ومحمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمه بن المغيرة، أبو طاهر السلمي، [المتوفى: 387 هـ]

قال الحاكم: عقدت له مجلس التحديث سنة ثمان وستين، ودخلت بيت كتب جده، وأخرجت له مائتين وخمسين جزءاً من سماعاته الصحيحة (الذهبي، 203هـ: 625/8).

وعدد لا يحصى من الأئمة الحفاظ.

3- خزائن الكتب: كذلك من أسباب نهضة المدارس الحديثة في نيسابور خزائن الكتب التي كانت منتشرة في دور الأمراء ومنازل العلماء عامة التي يقصدها طلاب العلم ومريديه في كل وقت وحين، وكذلك التي ألحقت بكل مدرسة.

ومن أشهر تلك الخزائن، والمكتبات:

1- مكتبة أبي عبد الرحمن عبد الله بن محمد بن هاني (ت 236هـ)، وكان جماعاً للكتب كثير الحفظ لها حتى صارت له من الكتب جملة عظيمة (السمعي، 1382هـ: 333/1).

2- مكتبة الخاتون مهد العراق، وهي أميرة سلجوقية أسمها جوهر خاتون وكانت شقيقة السلطان سنجر، تزوجها مسعود بن إبراهيم الغزنوي عقب توليه الحكم سنة 492 هـ، ويستفاد من حديث البيهقي عن مكتبتها أنها كانت عامة وأنها بنيسابور.

3. مكتبة مسجد عقيل أحد مساجد نيسابور الشهيرة وكانت تعقد فيه مجالس الإملاء والوعظ ودروس الفقه وقد احترقت المكتبتان خلال احتياح الغزّ المدمر لإقليم خراسان الذي بدأ سنة 548 هـ (البيهقي، 1425هـ: 6/1).

4- خزانة كتب عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم، أبو سعد النيسابوري الواعظ الزاهد المعروف بالخرکوشي، وله خزانة كتب كبيرة موقوفة (الذهبي، 203هـ: 120/9).

5- خزانة كتب المدرسة النظامية (السبكي، 1413هـ: 96/7). وغيرها من المكتبات وخزانات الكتب.

4- **الرحلات العلمية:** كانت عادة المحدثين الرحلة في طلب الحديث، وهذا أمر شائع ومعلوم وقد جمع فيه الإمام الحافظ الخطيب البغدادي كتابا حافلا سماه: الرحلة في طلب الحديث. وعلى درب أسلافهم من الصحابة والتابعين صار المحدثون من أهل نيسابور، فقد رحلوا في طلب الحديث، ولقاء الحافظ إلى جميع حواضر الإسلام، وقد كان لتلك الرحلات أبلغ الأثر في إثراء المدرسة الحديثية بنيسابور.

فقد رحلوا إلى العراق، والحجاز، واليمن، والشام، ومصر وسائر الحواضر الإسلامية، فتحملوا عن شيوخها ثم عادوا إلى نيسابور. (الخطيب، 1422هـ: 362/7)

وقد رحل علماء الآفاق إلى نيسابور أيضا للأخذ عن علمائها، ومعايشة النهضة العلمية في مدارسها، فتلاقحت الأفكار، ونتج عن ذلك حركة علمية هائلة.

5- الدقة في اختيار المعلمين والأساتذة:

ويظهر ذلك واضحا جليا في طريقة نظام الملك عند اختياره من يقوم بالتدريس في مدارس النظامية، فقد عرف عنه الدقة والعناية الفائقة في ذلك حتى قال عنه ابن العماد: " وكان بابه مجمع الفضلاء، وملجأ العلماء، وكان نافذا بصيرا ينقب عن أحوال كل منهم، فمن تفرس فيه صلاحية الولاية ولاه. ومن رأى الانتفاع بعلمه أغناه، ورتب له ما يكفيه حتى ينقطع إلى إفادة العلم ونشره وتدرسه، وربما سيره إلى إقليم خال من العلم ليحلّي به عاطله، ويحيي به حقه، ويميت به باطله. (العماد الأصفهاني 1424هـ، ص54).

6- **توفير الإمكانيات المادية اللازمة:** فقد اهتم القائمون على أمر تلك المدارس بتوفير الإمكانيات المادية التي تعين هذه المدارس

على النهوض برسالتها على أكمل وجه، فقاموا بتوفير السكن للطلاب داخل هذه المدارس، ويفهم من بعض الروايات التاريخية أن كل طالب كانت له غرفة خاصة به، كذلك اهتموا بتهيئة المناخ العلمي الذي يساعدهم على الدراسة والبحث، فاهتم اهتماما كبيرا بتوفير المراجع العلمية داخل هذه المدارس، فكانت في كل مدرسة مكتبة عامرة يتولى أمرها قوام على شؤونها.

المبحث الثالث: أبرز رواد المدرسة الحديثية في نيسابور، وجهودهم في خدمة السنة المطهرة.

1- الإمام المحدث الثبت الثقة حجة الإسلام؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم أبو الحسين القشيري النيسابوري أحد الأئمة من حفاظ الحديث (206-261هـ).

ثناء العلماء عليه: قال محمد بن بشار، يقول: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري ببخارى. (الذهبي، 2003هـ: 430/6).

نقل أبو عبد الله الحاكم: أن محمد بن عبد الوهاب الفراء قال: "كان مسلم بن الحجاج من علماء الناس، ومن أوعية العلم" (الذهبي، 1405هـ: 579/12).

آثاره في خدمة السنة النبوية: قال الحافظ الذهبي: " ثم ذكر - الحاكم - مصنفات إمام أهل الحديث مسلم -رحمه الله- كتاب (المسند الكبير) على الرجال، وما أرى أنه سمعه منه أحد، كتاب (الجامع على الأبواب) ، رأيت بعضه بخطه، كتاب (الأسامي والكنى)، كتاب (المسند الصحيح) ، كتاب (التمييز) ، كتاب (العلل) ، كتاب (الوحدان) ، كتاب (الأفراد) ، كتاب (الأقران) ، كتاب (سؤالاته أحمد بن حنبل) ، كتاب (عمرو بن شعيب) ، كتاب (الانتفاع بأهلب السباع) ، كتاب (مشايخ مالك) ، كتاب (مشايخ الثوري) ، كتاب (مشايخ شعبة) ، كتاب (من ليس له إلا راو واحد) ، كتاب (المخضرمين) ، كتاب (أولاد الصحابة) ، كتاب (أوهام المحدثين) ، كتاب (الطبقات) ، كتاب (أفراد الشاميين)، ثم سرد الحاكم تصانيف له لم أذكرها. (الذهبي، 1413هـ: 188/20).

2- الإمام ، الحافظ ، الحجّة ، الفقيه ، إمام الأئمة ، شيخ الإسلام ، محمد بن اسحاق بن خزيمة ، النيسابوري ، الشافعي ، إمام نيسابور في عصره (311-223هـ). طوف ابن خزيمة رحمه الله في البلاد لتحصيل العلم، و رحل إلى الحجاز و العراق والشام والجزيرة ومصر، وكسب من العلم والمعرفة ما جعله إمام وقته ومحدث عصره.

ثناء العلماء عليه: أثنى عليه غير واحد من أئمة الحديث وحفاظه؛ فقد قال الإمام أبو حاتم بن حبان: ما رأيت على وجه الأرض من يحسن صناعة السنن ويحفظ ألفاظها الصحاح وزياداتها حتى كان السنن كلها بين عينيه إلا ابن خزيمة حدث عنه البخاري ومسلم في غير الصحيحين. (الذهبي، 203هـ: 243/7).

آثاره في خدمة السنة: ترك ابن خزيمة رحمه الله تعالى خلفه ثروة علمية هائلة أثرت المكتبة الإسلامية، فقد زادت مصنفاته على مائة وأربعين كتاباً سوى المسائل والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء وله فقه حديث بريرة في ثلاثة أجزاء، وكتاب التوحيد وإثبات صفة الرب، وأشهرها كتاب (مختصر المختصر) المسمى (صحيح ابن خزيمة) (السبكي، 1413هـ: 118/3).

3- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم المعروف بالحاكم النيسابوري، الحافظ المعروف بابن البيع؛ إمام أهل الحديث في عصره والمؤلف فيه الكتب التي لم يسبق إلى مثلها، كان عالماً عارفاً واسع العلم (ت205هـ)

رحل رحمه الله تعالى وطوف في الآفاق، وبلغت جملة شيوخه مبلغاً عظيماً حتى قيل إنه سمع بخراسان والعراق وما وراء النهر، وسمع من نحو ألفي شيخ، ينقصون أو يزيدون، فإنه سمع بنيسابور وحدها من ألف نفس، وارتحل إلى العراق وهو ابن عشرين سنة، فقدم بعد موت إسماعيل الصفار بيسير. (الذهبي، 1405هـ: 163/17).

ثناء العلماء عليه: ترجم له التاج السبكي في طبقات الشافعية فأثنى عليه أحسن الثناء وأفضله؛ فقال: "كان إماماً جليلاً، وحافظاً حفيلاً، اتفق على إمامته وجلالاته وعظيم قدرته (السبكي، 1413هـ: 156/4).

آثاره في خدمة الحديث: اتفق له من التصانيف ما يبلغ ألفاً وخمسمائة جزء، ومن أشهر مصنفاته: "تخريج الصحيحين" و"العلل" و"الأمالى" و"فوائد الشيوخ" و"أمالى العشيات" و"تراجم الشيوخ". وأما ما تفرد بإخراجه فمعرفة علوم الحديث و"تاريخ علماء نيسابور" و"المدخل إلى علم الصحيح" و"المستدرک على الصحيحين" و"ما تفرد به كل من الإمامين" و"فضائل الإمام الشافعي" (ابن خلکان؛ 1971م: 280/4)، (الذهبي، 203هـ: 89/9).

4- الإمام، العلامة، الحافظ، المجدد، أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان البستي، وُلِدَ سَنَةَ بَضْعِ سَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وتوفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

رحل الإمام ابن حبان إلى كثير حواضر الإسلام؛ فقد رحل إلى أفغانستان، إيران، العراق، السورية، جزيرة العرب، مصر، الجزيرة الفراتية؛ وكل ذلك لوجه الله، وخدمة سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم. رحمه الله.

ثناء العلماء عليه: قال أبو سعد الإدريسي: "كان على قضاء سمرقند زماناً، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم، وقال الخطيب: "كان ثقة نبيلاً فهماً". (الذهبي، 2003هـ: 73/8).

آثاره في خدمة الحديث النبوي: صنف الإمام ابن حبان رحمه الله تعالى مجموعة من أمهات الحديث من أهمها: المسند الصحيح، وروضة العقلاء، والأنواع والتقسيم، جمع فيه ما في الكتب الستة، محذوفة الأسانيد، ومعرفة المخروحين من المحدثين، والضعفاء من رواة الحديث. (الذهبي، 2003هـ: 73/8).

5- الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي النيسابوري، الفقيه الشافعي، المتوفى بنيسابور في جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، عن أربع وسبعين سنة. (حاجي خليفة، 2010م: 139/1).

رحلاته العلمية: تفقه وسمع بخراسان وأكثر عن أبي الحسن العلوي، وهو أكبر شيوخه ورحل إلى الجبال والعراق والحجاز وسمع بها وبلغ مشايخه إلى نحو مائة فمهر وتفرد وغلب عليه الحديث واشتهر به، ثم رجع إلى بلده وأخذ عن الحاكم النيسابوري وصار أكبر أصحابه وفاق عليه في أنواع العلوم (ابن العماد، 362/9).

ثناء العلماء عليه: قال الذهبي وهو الحافظ العلامة الثبت الفقيه شيخ الإسلام: كان البيهقي أوجد زمانه وفرد أقرانه وحافظ أوانه (الذهبي، 1305هـ: 176/18).

وقال إمام الحرمين الجويني: ما من شافعي إلا وللشافعي في عنقه منة إلا البيهقي فإن له على الشافعي منة لتصانيفه ونصرته لمذهبه وأقوابله. (ابن قاضي شهبه، 1407هـ: 221/1).

آثاره في خدمة الحديث: صنف رحمه الله تعالى "المبسوط في نصوص الشافعي" في عشر مجلدات و"السنن الكبير" و"السنن الصغير" و"كتاب معرفة السنن والآثار" وقد سمعوا عليه بنيسابور وهو الذي يضطر إليه فقهاء الشافعية وكتاب "الأسماء والصفات" و"دلائل النبوة" و"شعب الإيمان" و"مناقب الشافعي" و"مناقب أحمد بن حنبل" و"كتاب البعث" و"كتاب الاعتقاد" و"كتاب الدعوات" و"كتاب الزهد" و"كتاب المدخل" و"كتاب الآداب" و"كتاب الترغيب" و"كتاب الإساءة" و"كتاب الخلافات" وغير ذلك. (حاجي خليفة، 2010م: 139/1).

6- شيخ الإسلام يحيى بن يحيى أبوبكر بن عبد الرحمن: عالم خراسان أبو زكريا التميمي النيسابوري الحافظ. أخذ منه: البخاري ومسلم والدارمي وابن بشار والذهلي والبيهقي والآخرين.
ثناء العلماء عليه: قال إسحاق بن راهويه: "ما رأيت مثل يحيى بن يحيى، ولا أحسب أنه رأى مثل نفسه"، وقال الإمام أحمد: "ما أخرجت خراسان بعد ابن مبارك مثله. وقال إسحاق بن راهويه: "أصبح يحيى بن يحيى إمام أهل الشرق والغرب". (الذهبي، 1405هـ: 513/10).

7- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم أبو يعقوب الخنظلي المرزوي المعروف بابن راهويه، اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع والزهد، ورحل إلى العراق والحجاز واليمن والشام. (الخطيب، 1422هـ: 362/7).

ثناء العلماء عليه: قال الإمام أحمد: "لم يعبر الحسر إلى خراسان مثل إسحاق، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً، وقال الدارمي: "ساد إسحاق بن إبراهيم أهل المشرق والمغرب بصدقه، وسئل عنه الإمام أحمد فقال: مثل إسحاق يسأل عنه؟! إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين" (الخطيب، 1422هـ: 362/7).

آثاره في خدمة السنة: له رحمه الله تعالى "المسند"، و"الجامع"، و"الجامع الكبير" الذي وضعه على كتب الشافعي رحمه الله. و"الجامع الصغير" الذي وضعه على جامع الثوري، و"المصنف"، و"كتاب العلم".

8- إبراهيم بن طهمان أبو سعيد الخراساني (ت168هـ). ولد بجمرة، ونشأ بنيسابور، ورحل في طلب العلم، فلقى جماعة من التابعين، وأخذ عنهم، مثل عبد الله بن دينار، مولى ابن عمر، وأبي الزبير محمد بن مسلم القرشي، وعمرو بن دينار، وأبي حازم الأعرج، وأبي إسحاق السبيعي، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسمك بن حرب، ومحمد بن زياد القرشي، وثابت البناني، وموسى بن عقبة، وأخذ عن خلق كثير من بعد هؤلاء (الخطيب، 1422هـ: 13/7).

ثناء العلماء عليه: قال عثمان بن سعيد: "لم يزل الأئمة يشتهون حديثه ويرغبون فيه ويوثقونه، وقال أبو زرعة: كنت عند أحمد بن حنبل رحمه الله فذكر إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً فجلس، وقال لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكأ". (الذهبي، 1405هـ: 381/7).

آثاره في خدمة الحديث: له كتاب "مشيخة إبراهيم بن طهمان".

9- الحسين بن منصور بن جعفر بن عبد الله بن رزين، أبو علي السلمى النيسابوري الحافظ. [الوفاة: 231 - 240 هـ]، وثقه الإمام النسائي، وهو شيخ العدالة والتركبة في عصره، وأخص الناس بيحيى بن يحيى النيسابوري. عرض عليه قضاء نيسابور، فاختفى ثلاثة أيام، ودعا الله، أن يموت فرارا من تولي القضاء؛ فمات في اليوم الثالث. (الذهبي، 2003هـ: 813/5).

وبعد فهذا غيض من فيض، وقطر من بحر، فرواد المدارس الحديثية في نيسابور، الذين كانت لهم اليد الطولى في نخصتها؛ لا يحصيهم العاد، ولا يمكن أن نأتي على ذكرهم جميعاً في هذه العجالة، فيكفي من الطوق ما أحاط بالعنق، ولا شك أن هذه النماذج التي ذكرناها خير شاهد ودليل على ما وصلت إليه مدينة نيسابور ومدارسها الحديثية من نهضة علمية وحركة فكرية كان من أهم نتائجها تخريج مثل أولئك الجهابذة.

الخاتمة

1- أظهر البحث الدور الثقافي والعلمي الذي لعبته نيسابور في القرون الأولى حيث أصبحت مركزاً للإشعاع العلمي والثقافي وأضحت أهم حواضر المشرق الإسلامي حركةً ونشاطاً.

2- كان ظهور المدارس العلمية الحديثية في نيسابور في وقت مبكر ثمرةً من ثمرات الحركة العلمية التي سادت هذه البلاد في وقت مبكر.

3- كان للأمرء والحكام والوزراء والأثرياء دور بارز في هذه الحركة فقد قاموا ببناء المدارس وأوقفوا عليها الأوقاف ورتبوا لأساتذتها وطلابها المعاليم.

4- يعتبر ظهور المدارس النظامية العلمية والحديثية في وقت مبكر في نيسابور دليل على أن المسلمين كانوا على علم ودراية بالمنهجية العلمية في تدريس العلوم.

5- ساهم علماء نيسابور في نهضة المدارس الحديثية؛ فلم تكن جهودهم قاصرة على التدوين والتفقه وإنما شملت جهودهم إنشاء المدارس والإنفاق عليها والتدريس بها.

6- أظهر البحث أن نور العلم لا يخبو مهما تقلبت الأمور فعلى الرغم من مرور نيسابور بفترات حالكة السواد إلا أن ذلك لم يؤثر على همم العلماء وإنما زادهم إصراراً على مواصلة الطريق.

7- خرّجت المدارس الحديثية في نيسابور على مر تاريخها أجيالاً من الأئمة العظماء الذين خدموا الدين، وحافظوا على سنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم.

التوصيات:

1- يوصي الباحث بضرورة دراسة المدارس الحديثية في أقطار الإسلام المختلفة والوقوف على مناهجها وجهود علمائها في خدمة السنة.

2- استلهم روح تلك المدارس الحديثية في الالتزام بالمنهجية العلمية في دراسة العلوم، وقيام أولي الأمر وأهل اليسار بدورهم في دعم تلك المدارس لتخريج أجيال من العلماء قادرة على فهم الإسلام فهما صحيحا.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري، (المتوفى: 630هـ)، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، ت: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط الأولى، 1417هـ / 1997م.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: 597هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ت: دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، 1412 هـ - 1992م.

ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (المتوفى: 795هـ)، مكتبة المنار - الزرقا - الأردن، الأولى، 1407هـ - 1987م.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي، (ت: 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ت: محمود الأرنؤوط، ت: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط الأولى، 1406 هـ - 1986 م.

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد، (ت: 779هـ)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ط: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، عام النشر: 1417 هـ.

ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (: 852هـ)، تهذيب التهذيب، نشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: ط الأولى، 1326هـ.

ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلية، (ت: بعد 367هـ)، صورة الأرض، نشر: دار صادر، أفسس ليدن، بيروت، عام النشر: 1938 م.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (المتوفى: نحو 280هـ)، المسالك والممالك، ط: دار صادر أفسس ليدن، بيروت، 1889 م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، ط: دار صادر، بيروت.

ابن عساکر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت: 571هـ)، تاريخ دمشق، ت: عمرو بن غرامة العمري، ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد (ت: 851هـ)، طبقات الشافعية، ت: د. الحافظ عبد العليم خان، ط: عالم الكتب، بيروت، الأولى، 1407 هـ.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، ت: علي شيري، ط: دار إحياء التراث العربي، ط الأولى 1408، هـ - 1988 م.

ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، الحنبلي (المتوفى: 629هـ)، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسائيد، ت: كمال يوسف الحوت، ط: دار الكتب العلمية، ط الأولى 1408 هـ - 1988م.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، نشر دار صادر، بيروت، مكتبة مدبولي القاهرة، ط الثالثة، 1411هـ/1991م.

البيهقي، أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد بن محمد بن الحسين البيهقي، الشهير (المتوفى: 565هـ)، تاريخ بيهق / تعريب، ط: دار إقرأ، دمشق، الأولى، 1425 هـ.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت: 1067هـ)، سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ت: محمود عبد القادر الأرنؤوط، وآخرون، ط: مكتبة إرسیکا، إستانبول، تركيا، 2010م.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (المتوفى: 626هـ)، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ت: إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، 1414 هـ - 1993م.

الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تاريخ بغداد، ت: الدكتور بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط: الأولى، 1422 هـ - 2002 م.

الخليلي، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل (المتوفى: 446هـ)، الإرشاد في معرفة

علماء الحديث، ت: د. محمد سعيد عمر إدريس، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، ط: الأولى، 1409.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: 748هـ)، العبر في خبر من غير، ت: أبو هاجر محمد السعيد بن بسبوي زغلول، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط: دار الكتاب العربي، ط الأولى، 1417هـ - 1997م.

السيكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثانية، 1413هـ.

السلامي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، (ت: 795هـ)، شرح علل الترمذي، ت: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، نشر: مكتبة المنار - الزرقاء - الأردن، ط الأولى، 1407هـ - 1987م.

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، أبو سعد (ت: 562هـ)، الأنساب، ت: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط الأولى، 1382هـ - 1962م.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911هـ)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ت: دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي - مصر، ط الأولى 1387هـ - 1967م.

الصّرفيّنيّ، تقيّ الدّين، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت: 641هـ)، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ت: خالد حيدر، ط: دار الفكر للطباعة، سنة النشر 1414هـ.

الصلابي، علي محمد محمد، دولة السلاجقة: وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، ط: مؤسسة إقرأ للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الأولى 1427هـ.

العسيري، أحمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر 1417هـ، ط: غير معروف، الأولى، 1417هـ - 1996م.

الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي، الشهر (المتوفى: 1351هـ)، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط: دار القلم، حلب، ط: الثانية، 1419هـ.

الفاجالو، الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة (290-548هـ)، جامعة أم القرى كلية الشريعة والقانون 1421هـ.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: 845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، 1418هـ.

كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كوركيس عواد، ط: مؤسسة الرسالة، الثانية 1405هـ، 1985م.

المنصوري، أبو الطيب نايف بن صلاح بن علي، الرّوض الباسم في تراجم شيوخ الحاكم، ت: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، 1432هـ.

الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، ط: الثانية 1419هـ.